الصرف التعليميّ في كتاب "مختصر الخطيب في الصرف"، رؤية تحليلية

مراجعة مقال – Subject Rview

م.د. سهير گاطع ناصر

Suhair.k@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية

الملخص

يمكننا تقريب مكانة علم الصرف في اللغة العربية وعلومها بكونه هندسة اللغة الداخلية. سابقًا النحو رتبةً ومنطقاً، نحن أمام مقولة منطقية تقتضي بناء المفردات المكونة للبنية التركيبية للفعل الكلامي، وهنا تكمن القيمة الفعلية الصانعة لأصغر أجزاء الجملة، ومن دون الصرف فإن التآكل والتشويه سيكون مصير الجملة نفسها.

وهذا المقال يتناول بالتحليل والنقد لكتاب تعليمي هو **مختصر الخطيب في الصرف**، وتبدو أهمية تحليل هذه التجارب في إبراز الحلول الفردية الواعية لمشكلة إيصال هذا العلم إلى أذهان الطلبة، وتسهيله لهم، فكان إبراز نقاط الضعف ومكامن القوة، والإفادة من التجربة الغاية الأهم في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الصرف، التعليم، التحليل.

Educational morphology in the book "Al-Khatib's Summary of Morphology": An Analytical Perspective

Lecturer Dr. Suhair Gati' Nasser

University of Baghdad / College of Education (Ibn Rushd) for Human Sciences

Abstract:

We can approximate the position of morphology in the Arabic language and its sciences by describing it as the internal architecture of the language. Previously, grammar, in terms of order and logic, was a logical statement that required the construction of the vocabulary that constitutes the syntactic structure of the speech act. Herein lies the actual value that

creates the smallest parts of the sentence, and without morphology, the sentence itself would suffer erosion and distortion.

This article analyzes and critiques an educational book, Al-Khatib's Summary of Morphology. The importance of analyzing these experiences lies in highlighting conscious individual solutions to the problem of conveying this knowledge to students and making it easier for them. Highlighting weaknesses and strengths, and benefiting from the experience, is the most important goal of this article.

Keywords: Morphology, Education, Analysis.

مكانة علم الصرف:

ليست أهمية الصرف في كونه رياضة ذهنية فحسب؛ بل هو المولّد الرئيس لاستيلاد المعاني في العربية، وتبرز أهمية الصرف، ومكانته في:

* كونه مظهرا للاقتصاد اللغوي (الإيجاز): فالعربية لغة اشتقاقية؛ فمن جذر ثلاثي واحد مثل (أ ك ل) نستطيع توليد عشرات الصيغ، مثل: آكل، مأكول، مأكل، أُكَل، استأكل، تآكل...الخ. فالصرف المصنع الذي يصير المادة الخام إلى منتجات مختلفة الاستخدامات.

* الدقة في الدلالة: فالصيغة الصرفية ليست قالباً صوتياً فقط، بل وعاء للمعنى كذلك. فالفرق بين عوج، وعِوج أنّ الأول يكون في الماديات، والثاني في المعنويات، والفرق بين(وضوء) بضم الواو، و(وضوء) بفتح الواو أنّ الأول مصدر يدل على الحدث، والثاني يدل على معنى الماء الذي يتوضأ به؛ فالدلالات الصرفيات حاكمة في تغيير المعاني.

* الإعجاز الصرفي للقرآن؛ إذ لا يمكن تذوق بلاغة القرآن، وتلمس إعجازه من دون الفهم الصرفي؛ كتفسير الفرق في قول الله تعالى {فَاسطَاعوا} وقوله {اسـتَطَاعوا} في سورة الكهف؟ فقد أجابوا على ذلك بأن ظهور التاء دال على الثقل، والحذف دال على الخفة، وكذا سائر التوجيهات الصرفية للصيغ الواردة في القرآن الكريم.

- **لماذا يخاف الطلاب علم الصرف؟**

على الرغم من الأهمية الكبرى لهذا العلم، فإن الصرف لا يملك وداً لدى الطلبة، وعلى الرغم من هذه الأهمية، يواجه الصرف "تخوفاً"، وابتعاداً طلابياً مزمناً، وهذا الخوف والقلق يعود لأسباب منهجية، وموضوعية؛ منها:

* التجريد الذهني: فصفة التجريد الجافة نابعة من تعامل علم الصرف مع عمليات عقلية غير مرئية محسوسة؛ كالإعلال، والإبدال، ونقل الحركة، وقلب الحرف، بما يستدعي خيالاً رياضياً ، وملكة منطقية لا يملكها إلّا القلة من الطلاب.

* صعوبة المتون القديمة، وعسرها؛ إذ قُدم الصرف قديماً من خلال المنظومات (أشعار تعليمية)، تلك المنظومات التي ركزت على "الحفظ" والقوالب الجاهزة من دون شرح فلسفة العلم، هذا الجفاف حوله إلى لوغاريتمات صماء.

* الشذوذ في السماع؛ فقد انشغلت بعض المناهج بالظواهر الشاذة والنادرة على حساب القواعد الكلية الوظيفية التي يستخدمها الطلاب في كل يومٍ.

- **آليات التيسير، و "الصرف الوظيفي":**

إنّ الخروج من هذا المأزق يتطلب ثورة منهجية تعتمد على الركائز الآتية:

١. نقل الصرف من " المعيارية" إلى "الوظيفية":

فيجب التركيز على "دلالة الصيغة "بدلاً من إرهاق الطالب بحفظ أوزان لا تستخدم إلا في الشعر الجاهلي، فمن غير المهم أن يحفظ الطالب وزن (استفعل) بقدر أن يدرك أن (استفعل) تفيد "الطلب" أو "التحول"، فيفهم الفرق بين (وقد) و(واستوقد) الذي يدل على طلب الوقود.

٢. التفكيك البصري (Visualizing Morphology):

يصنف الصرف على أنه علم رياضي، لذا يجب تعليمه من خلال الجداول، والألوان، والرسوم البيانية. ويمكن شرح ذلك بالآتي:

* التمييز باستخدام لون معين للجذر الأصلي، ولون آخر لحروف الزيادة، بأنواعها.

* توظيف الوسائل لتقريب الأفكار للواقع كتمثيل عمليات الإعلال –حذف حرف العلة مثلاً– كعمليات جراحية أو معادلات (س + ص = ع).

٣ . التدرج الحلزوني: فلا يصح أن نلقي بقواعد الصرف كلّها دفعة واحدة؛ بل تدريجيا:

* المرحلة الأولى: الصرف السماعي، كتدريب الأذن والنطق السليم للمشتقات.

* المرحلة الثانية: القياس (ضبط الميزان الصرفي للأفعال الصحيحة).

* المرحلة الثالثة: التعليل للظواهر الصرفية؛ كفهم حدوث الإعلال والإبدال في الأفعال المعتلة.

- **استراتيجيات تعليمية مقترحة**

لتحويل درس الصرف من حصة نوم أو رعب إلى حصة اكتشاف:

* استراتيجية "التشريح اللغوي": نضع الكلمة أمام الطلاب ونطلب منهم تجريدها من (الزيادات) للوصول إلى "جذرها" الأصلي، ثم نطلب منهم توظيفها في شكل آخر (صيغة مبالغة مثلاً).

* الربط بالقرآن الكريم: الصرف يحفظ ولا يفهم إلا بالشواهد. وربط القاعدة بآية يحفظها الطالب (مثل تعليم أوزان المبالغة من خلال صفات الله الحسنى) يرسخ القاعدة ومفهومها بشكل صحيح ثابت.

* التقنية الرقمية: استخدام تطبيقات "التصريف الآلي" ليس في حيز الإجابة، بل ليرى الطالب عملية تغيير بنية الكلمة مع كل ضمير بشكل آلي.

إن إعادة الاعتبار لعلم الصرف لا تكون بفرض حفظ الشروح القديمة بالإكراه، بل بتقديمه أداة تفكير، توليد مبدع.

يمنح الصرف المتحد ث العربي "السيادة" على لغته والتسلط عليها، فبدلاً من أن يكون مستهلكاً لمفردات جاهزة، يصبح قادراً على "صناعة" مفرداته الخاصة على وفق القوانين، وهذا هو جوهر الكفاية اللغوية.

- **مقاربة تحليلية في كتاب (مختصر الخطيب):**

يعد كتاب "مختصر الخطيب" للدكتور عبد اللطيف بن محمد الخطيب واحدا من المؤلفات المعاصرة التي حاولت ردم الفجوة بين صعوبة المتون الصرفية القديمة وبين حاجة الطالب المعاصر لتقريب هذا العلم "الوعر". وفيما يلي تحليل لهيكلية الكتاب وغاياته ومدى نجاحه في تحقيقها.

أولاً: السياق والغاية من التأليف

يفصح المؤلف في مقدمته بوضوح عن "جينيالوجيا" (سلالة) هذا الكتاب؛ فهو وليد شرعي لكتابه الأكبر "المستقصى في علم التصريف". فقد جاء المختصر استجابة لشكوى الطلبة المبتدئين من صعوبة "المستقصى" وطوله، ورغبتهم في "متن داني القطوف" على حد تعبيره، فهو بالتالي يضع أهمية النتائج المرجوة نصب عينيه.

* الجمهور المستهدف: حدد المؤلف شريحتين رئيستين في العنوان: "المبتدئين" و"الحفاظ" أي (حفاظ القرآن الكريم).

* الهدف الرئيس: تقديم "أوليات الصرف" من دون إغراقه في الخلافات أو العلل العميقة التي اعتادها القدماء، ليكون خطوة أولى قبل الدخول في المطولات.

ثانياً: الهيكلية والبناء الفني

اعتمد الكتاب منهجية التدرج المنطقي القديم بأسلوب عرض حديث ومعاصر، ويمكن تقسيم هيكليته إلى:

* المقدمات التأسيسية: كعادة المؤلفين بدأ بتمهيد تاريخي موجز لعلم الصرف، ثم الميزان الصرفي وقواعده، وهو المدخل الضروري لضبط الأوزان.

* صرف الأفعال (العمود الفقري للكتاب): خصص المساحة الأكبر للأفعال (التقسيم الزمني، الصحة والاعتلال، الجمود والتصرف، التعدي واللزوم، المبني للمفعول، توكيد الفعل، وإسناد الأفعال للضمائر). وهذا التركيز له ما يبرره؛ لأن "التصريف" في أصله يستكشف "الفعل" بشكل مركز.

* المشتقات (بنية الأسماء): انتقل بسلاسة إلى المصادر والمشتقات (اسم الفاعل، المفعول، الصفة المشبهة، التفضيل، الزمان والمكان، الآلة)، ثم ختم بالمجرد والمزيد من الأسماء.

* الجداول التصريفية: يمكننا عدّها الصفة الأبرز في الهيكلية، وهي الاعتماد المكثف على "الجداول" ولا سيما في باب إسناد الأفعال للضمائر)، مما يجعله كتاباً قريبا إلى الوظيفية والتطبيق بشكل واضح.

ثالثاً: منهجية الكتاب ومدى النجاح في تحقيق الأهداف:

يمكننا القول: إن المؤلف نجح بدرجة كبيرة في تحقيق غايته التعليمية فيه ؛ للأسباب التالية:

* الوسطية في الشرح؛ فقد التزم المؤلف بوعده "من غير إسراف في الاختصار، أو إفراط في الشرح" على حدّ قوله. وجاءت العبارات علمية دقيقة لكنها غير ملغزة مشفرة كالنصوص القديمة؛ كشافية ابن الحاجب وشروحها مثلاً.

* خدمة "حفاظ القرآن": إذ ربط القواعد بالشواهد القرآنية (مثل استشهاده بالآيات القرآنية في شرح أوزان المصادر)، بما يخدم الحفاظ الذين يستحضرون القاعدة عن طريق الآية المحفوظة.

* التفكيك البصري (Visualizing): نجح الكتاب في تحويل القواعد المعقدة (مثل الإعلال والإبدال عند الإسناد) إلى عمليات رياضية منطقية واضحة (أصل الكلمة –> التغيير الطارئ –> الوزن الجديد)، وهو أسلوب تعليمي ممتاز للمبتدئ.

رابعاً: النقد والملاحظات

على الرغم من وصف الكتاب بالجودة فإنه يمكن توجيه بعض الملحوظات النقدية من منظور "الصرف التعليمي":

* غياب التدريبات التطبيقية؛ فالكتاب ميال لكونه "مرجعاً للقواعد" (Reference) أكثر منه "كتاباً دراسياً" (Textbook) تفاعلياً. فيفتقر الكتاب إلى تمارين في نهاية الأبواب؛ لتختبر فهم الطالب، وهو عنصر مهم للمبتدئين لترسيخ القاعدة.

* الإحالة المستمرة لكتابه المطول في الهوامش، فتكثر عبارة (انظر المستقصى ص:) الذي يترك أثرا وشعوراً عند الطالب المبتدئ بنقص المعلومة أو لحاجته الدائمة لمصدر صرفي آخر يفهم منه التعليل، فيقطع تسلسل تعلمه ويجعله عسيرا.

* الضعف الأكاديمي: رغم سهولة العبارة، إلا أن الكتاب يفتقر قليلاً إلى "التشويق اللغوي" أو للطائف علم التصريف التي تجذب الطالب إلى المادة، إذ ساد الطابع التقعيدي الصارم.

* دمج بعض الأبواب؛ فكان بمقدور المؤلف تأخير الحديث عن "الإعلال والإبدال" وجعله باباً مستقلاً في النهاية بدلاً من نثره أحياناً ضمن الأبواب، لأن هذا الباب هو "جوهر" الصرف، ووضعه في البدايات أو الثنايا قد يربك المبتدئ.

الخاتمة والتوصيات:

كتاب "مختصر الخطيب" "خارطة طريق" فاعلة وآمنة للطالب الذي يريد ضبط أبنية الكلمة العربية قبل الغوص في بحر التعليلات. وهو كتاب "ضبط" لا كتاب "تفلسف"، وهذا ما يجعله ناجحاً جداً في هدفه المنشود كمتن للحفظ والمراجعة، إلا إنه يحتاج إلى شرح مميز ونافع على يد معلم أو أن يرفق بكتيب تدريبات له يدمج معه؛ ليحقق الفائدة القصوى منه.

ولعل هذه التجربة مضافةً إلى غيرها من التجارب يخلق أفكارا أكثر عملية وجدة وابتكارا في هذا الباب، وعليه فإن البحث عن تجارب أخرى بوسائل أخرى يمنحنا تصورا أكثر عملية وفعالية في هذا المجال.

المصادر:

- الجارم علي، وأمين مصطفى، الصرف الواضح على منهج النحو الواضح، دار ابن كثير ودار اللؤلؤة، القاهرة، ط/١، ١٤٤١ هـ- ٢٠٢٠م.
- الخطيب، د. عبد اللطيف بن محمد، مختصر الخطيب في الصرف للمبتدئين والحفاظ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط/١، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م.